المحاضرة التاسعة

النقد السوسيولوجي

(تتعدد التعريفات التي تقدم من قبل الدارسين والباحثين حول تعريف منهج أو مدرسة نقدية، ذلك أن منهج النقد السيوسيولوجى- على سبيل المثال- يحمل قبل أن نعرفه عدداً من المسميات إلا أنها مسميات متعددة لمضمون واحد.

إن منهج النقد السوسيولوجى يسمى أيضاً بمنهج النقد البنيوىالتكوينى" وهو بطبيعة الحال يختلف عن منهج النقد البنيوىالشكلىالذى سبق وتحدثنا عنه. كما أننا لابد وأن نوضح أن "النقد السيوسيولوجىالذى يعطى الأولوية لدراسة النص هو فرع من فروع سوسيولوجيا الأدب.

إن منهج النقد السوسيولوجى يتميز بأنه يسعى أساساً من أجل إقامة علاقة بين الإبداع الأدبىوالمسرحي وبين المجتمع، إذ يسعى المؤلف من أجل إظهار أبعاد الملامح الاجتماعيةفى أعماله بل أكثر من ذلك فإن المؤلف يحرص أيضاً على ضرورة إحداث التغيير فى هذا المجتمع غالباً ما يكون لصالح أبناء الطبقات المغلوبة. وبطبيعة الحال فإن هذا المنهج لا يعد جديداً ذلك أن نقاد القرن التاسع عشر أمثال هيبوليت تين ومدام دوستال وغيرهما سعوا من أجل ضرورة إظهار جوانب التأثير والتأثر بين المجتمع وجوانب الإبداع.)[[1]](#footnote-1)

تبلور المنهج السيسيولوجي على يد رائده **لوسين جولد مان** حيث تبلور المنهج السيسيولوجي بشكل أساسي على يده حيث حاول أن يحلل البنية الداخلية لنص من النصوص رابطا غياه بحركة التاريخ الاجتماعي الذي ظهر فيه.

إن نقاد الأدب الماركسي هم نفسهم أصحاب الاتجاه السوسيولوجي حيث سعوا إلى ضرورة أن تعكس الاعمال الأدبية والمسرحية الواقع الاجتماعي للمبدع وان يلتزم في ذلك بقضايا الطبقة العاملة وان يكون قادرا ومدركا صيرورة الصراع الاجتماعي الذي يتجسد في عمله بوسائله الفنية، ومنه جاءت أولوية المضمون الاجتماعي على الشكل، حيث يصير الشكل هنا وسيلة لتجسيد المضمون في العمل الأدبي وتصير مهمة الناقد هنا هي اكتشاف المضمون ومدى قدرة الكاتب على عكس قضايا الواقع الاجتماعي في العمل الأدبي.

ارتبط المنهج السوسيولوجي بمجال الرواية اكثر منه ارتباطا بالمسرح، غير أن هذا لا يعني عدم تناسبه لبعص الأجناس الأدبية، ذلك ان **جولد مان** طبق هذا المنهج على العديد من أعمال بودلير خاصة قصيدته الشهيرة باسم القطط المأخوذة من ديوان أزهار الشر والتي حلل فيها التناقض بين الـ:هناوالـ:هناك، ويعني بـ هنا العالم والمجتمع والزمن، وب، هناك الجمال واللانهائية والخلود، والإنسان يعيش ممزقا بين هذين، كما نجح جولد مان بتطبيق هذا المنهج على المسرج في أعمال الكاتب الفرنسي جان جينيه (الخادمات، الزنوج، الشرف) حيث عكست أعماله الملامح الاجتماعية المميزة لتلك المرحلة خاصة في وصف الطبقة العاملة.

لقد ساهم جولد مان بالمنهج السوسيولوجي وتطبيقه على مسرح سارتر في العديد من أعماله، وقد أظهر نجاعة المنهج في اسقاط العمل الأدبي على الواقع الاجتماعي.

**أعلام المنهج السوسيولوجى ومجالات تطبيقه**

1- **جورج لوكاتش (1885-1971)**

(يعد جورج لوكاتش من رواد هذا الاتجاهفى القرن العشرين، إذ أن جولدمان كثير ما يعاود قراءة أعماله خاصة "الروح والأشكال" و "نظرية الرواية" حيث تناول لوكاتش العلاقة الحميمة بين المبدع والواقع المعاش، هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية يركز لوكاتش على الوعىالتاريخى المنبعث من قبل المؤلف وكيف استطاع أن يوضحه من خلال أعماله.)[[2]](#footnote-2)

2- **لوسيان جولدمان:**

(اعتمد جولدمان على بعض مقولات أستاذه جورج لوكاتش مما جعله يصل إلى مكانه جعلته مؤسس المنهج البنيويالتكويني، إذ نجح من خلال دراستيه "الإله الخفي" و "مسرح راسين" في تناول "الرؤية المأساوية في خواطر باسكال وراسين وسعى إلى الإحاطة (بالنيات) التصورية للنصوص المدروسة، واستخلاص (الكليات) العقلية والاجتماعية، وتوصل إلى أن (خواطر) باسكال، ومآسي راسين ليستا سوى تعبير عن الوضعية المأساوية التى عاشتها نبالة مثقفة موزعة بين أصولها وارتباطاتهاالبورجوزايةوهي تعبير يتجلى في رفض العالم لدى الجانسينية".

وعليه نستطيع القول إن جولدمان عندما طبق المنهج السوسيولوجىاستطاع أن يركز على الإبداع الفردي للمؤلف الذي يعد بطبيعة الحال جزءاً من الإبداع الجماعيأي أنه يؤكد أن إبداع الفنان هو جزء من كل وعليه نستطيع القول أن دراسة جولدمان لبنية النص الأدبي من منطلق تكويني يسهم بدوره في الوصول إلى نتيجة مؤداها أن بنية النص تسهم بدورها فى تحديد بنية ورؤية هذه الطبقة أو الفئة للعالم المحيط والذى ينتمى إليه المؤلف بطبيعة الحال. أى أن جولدمان عندما يحلل بنية أعمال راسين من خلال مسرحياته إنما يصل إلى وجهات نظر المؤلف من خلال بنية النص والتي تأتى بطبيعة الحال معبره عن العالم المحيط )[[3]](#footnote-3)

وبذلك نستطيع القول إن المنهج السوسيولوجى يهدف إلى ربط إنتاج الكاتب بالمجتمع أو البيئة التي يعيش فيه وبذلك يختلف عن المنهج النفسي الذي يربط الابداع بالكاتب وحده دون أن يقيم اعتبارا للواقع الاجتماعي أو الوعي الفردي لما له من ارتباط بالوعي الجمعي كون المجتمع يمثل وحدة كلية.

(إن المفاهيم الأساسية التي يقيم عليها جولدمان ملامح منهجه تتمثل فى وعيه الدائم بضرورة النظر إلى الإبداع الأدبي (والمسرحي) بطبيعة الحال على أساس أنه مجموعة من الظواهر الاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية، أي أن العمل الأدبي إنما هو نتاج اجتماعي بقدر ما هو إبداع فردى، وهو يختلف عن مفهوم السيوسيولوجيا كما يراها روبيرا اسكاربتالذى يربط بين الإنتاج الأدبي وبين طرق وسبل نشره وتوزيعه وبطبيعة الحال يركز على طرق استقباله من قبل الجمهور. ويختلف الإتجاهالسوسيولوجى الآخر الذى يركز على دراسة الإنتاج الأدبي "لمجموعات مهنية واجتماعية، ونقل الاهتمام من الفرد المدروس حسب مهنته، إلى السنوات الأولى من طفولته، كما يدرس مضمون الوعى الجماعيفي أعمال عدد من المؤلفين المختلفى الجنسيات".)[[4]](#footnote-4)

3- **ميخائيل باختين (1895-1975)**

(يعد باختين "المؤسس الأول لعلم اجتماع النص الأدبي، أو حتى لعلم اجتماع الشكل الأدبي وقد تعرض باختين في دراساته لنظرية الانعكاس المباشر التي كانت شائعة فيالاتحادالسوفييتيفي مرحلة الثلاثينيات وأكد أن الأدب ليس انعكاسا آلياً للمجتمع بقدر ما يكون الفن "تعبيراً اجتماعيا مرتبطاً بما هو خارج الوعى الفردي، وأن الوعى الذاتي لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال الوعى الجماعي" وعليه نستطيع القول إن باختين أدرك أهمية الرواية كعمل فنى نستطيع من خلاله أن ندرك جميع فئات المجتمع الدنيا وهو ما جعله يرى أهمية الأشكال الشعبية والدونية كمادة توضح نظم الصراع الموجودة داخل المجتمع.

تحدث باختين عن الموضوع الجمالي كما يحدد ذلك.د. محمد على الكردي فرأى أن الموضوع الجمالي "ليس مبدأ ميتاً فيزيقياً سابقاً على الخلق الفني، إذا أنه الواقع الحى والملموس لحركة الوعى الخلاقة، وهى حركة تتشكل، على الطريقة الظاهرانية، داخل مواقف معرفية وأخلاقية ماثلة دائماً من قبل.

إن الوعي الخلاق يدمج، في تكوينه للموضوع الجمالي، بين اللحظة التقويمية أو المعيارية، ووصفية الحدث أو الظاهرة التى يتناولها بالمعالجة فى إطار لغة رمزية".

طبق باختين آراءه على أعمال رابليه فى رسالة دكتوراه التي قدمها عام 1965م على دستوفسكى واستخلص من خلال دراسته شكلين من أشكال الرواية هما:

1- الشكلالكرنفالى.

1. شكل الرواية المتعدد الأصوات (أي الحوار الذى على شكل ديالوج بين الكاتب وشخوصه الغائبة وشخوصه الحاضرة).

4- **بييرزيما (1946):**

استطاع زيما أن يتخطى مرحلة التأثير بباختين إلى مرحلة الإضافة والابتكار والتفسير، فلم يعد همه من دراسة النص فقط دراسة المجتمع وحسب، بل نجده يهتم بمسألة "معرفة كيف تتجسد القضايا الاجتماعية والمصالح الجماعية فى المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص".

حرص باختين على ضرورة تجسيد وتحديد جوانب الصراعات الطبقية في المجتمع الواحد وهو يذكرنا بأعمال الكثير من كتاب مسرحنا المصري إذ حرصوا أمثال- سعد الدين وهبه- نعمان عاشور- نجيب سرور- لطفى الخولي- يوسف إدريس في مجال المسرح- من خلال مسرحياتهم على ضرورة إيضاح أوضاع الطبقات الاجتماعية وصراعاتها كما تمثل عندنا في ظهور طبقات واختفاء طبقات أعقاب ثورة 1952م والانفتاحالاقتصادي 1978م.

إن دخول طبقات جديدة إلى أماكن لم يكن من حقهم من قبل دخولها أدى إلى انقلاب معايير اللغة المتداولة فى هذه الأوساط الاجتماعية وهو ما حدث فى مصر في أعقاب الانفتاحالاقتصادي حيث وجدنا الازدواجية تظهر في الشخصية وفى الحوار وفى السلوك)[[5]](#footnote-5).

سعى نقاد المنهج السوسيولوجي من خلال أعمالهم على ابراز أهمية العنصر الاجتماعي في الأدب في مواجهة بين المضمون والشكل، أي امام الدوافع الاجتماعية الثابتة التي ينتمي غليها النص والعناصر الأسلوبية المتغيرة التي ينتمي إليها الشكل الأدبي، غير أن القصور الذي يكتنف هذا المنهج يتمثل في تحليل المضمون دون الاقتراب من الشكل، ونحن بحاجة ماسة إلى منهج يرتكز على الجانبين في التحليل أي الشكل والمضمون.

1. أ.دأحمدصقر،النقدالسوسيولوجي، قراءةفيمناهجالنقدالمعاصر– كليةالآداب – جامعةالإسكندرية،الموقع[www.ahewar.org](http://www.ahewar.org) [↑](#footnote-ref-1)
2. .ا.دأحمدصقر،النقدالسوسيولوجي، قراءةفيمناهجالنقدالمعاصر– كليةالآداب – جامعةالإسكندرية،الموقع[www.ahewar.org](http://www.ahewar.org) [↑](#footnote-ref-2)
3. .أ.دأحمدصقر،النقدالسوسيولوجي، قراءةفيمناهجالنقدالمعاصر– كليةالآداب – جامعةالإسكندرية،الموقع [**www.ahewar.org**](http://www.ahewar.org) [↑](#footnote-ref-3)
4. .أ.دأحمدصقر،النقدالسوسيولوجي، قراءةفيمناهجالنقدالمعاصر– كليةالآداب – جامعةالإسكندرية،الموقع[www.ahewar.org](http://www.ahewar.org) [↑](#footnote-ref-4)
5. .أ.دأحمدصقر،النقدالسوسيولوجي، قراءةفيمناهجالنقدالمعاصر– كليةالآداب – جامعةالإسكندرية، الموقع [www.ahewar.org](http://www.ahewar.org) [↑](#footnote-ref-5)